بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، و الصلاةُ و السلامُ على سيِّد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـد ! فإن هذه المحاضرة (**أزمة هذا العصر الحقيقية**) أُلقيت في قاعة جامعة الإمارات العربية المتحدة الواسعة (في **مدينة العين**) في ١٥/ صفر ١٤٠٤ هـ ، الموافق ١٩/ نوفمبر ١٩٨٣ م .

حيث حضرت نخبة ممتازة من طبقة المثقفين ، و رؤساء الأقسام ، و طلبة الجامعة و طالباتها .

و حيث أن هذه المحاضرة هادفة مركّزة ، و مثيرة مجلجلة ، و مطابقة الأوان ، رغم تفاوت الزمان و المكان ، آثرنا نشرها و إتحاف المثقفين و المعنيين بوضع العالم المعاصر ، و احتياجه إلى القيادة الرشيدة الواعية ، الغيور الداعية ، لعلّ الله ينفع بها أصحاب الوعي الديني،

www.abulhasanalinadwi.org

و الحماس الإسلامي ، و العناية بمصير الإنسانية، و الأمة المبعوثة لتوجيهها و إرشادها، و قيادتها و إنقاذها .

و ما ذلك على الله بعزيز .

محمد الرابع الحسني الندوي

مدير دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ الهند

و نائب رئيس المجمع الإسلامي العلمي

و رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١٤٢٠/٧/١٦هـ

١٩٩٩/١٠/٢٧م

www.abulhasanalinadwi.org

أزمة هذا العصر الحقيقية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، و الصلاةُ و السلامُ على سيِّد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم بإحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعـد !

فإنِّي أحمد الله تبارك و تعالى أوّلاً علىٰ توفيقه ، و علىٰ ما هيّأ لي هذه الفرصة الكريمة ، هذه الأمسية المباركة ، للاجتماع بهذه المجموعة الطيِّبة من المثقّفين و أبنائنا الشباب العربي المسلم ، أبناء هذه الجزيرة ، أشبال الأسود ، و ورثة المجد الخالد القديم ، و الأمل في المستقبل إن شاء الله.

إخواني ! إنه كثر الحديث عن الأزمات ، و أصبحت الشغل الشاغل للمثقّفين و الدارسين ، و المعنِيِّين بالقضايا البشرية و بالقضايا الإسلامية ، حتى أصبح

www.abulhasanalinadwi.org

موضة من موضات الحديث عن الأزمة ، ما هي الأزمة ؟ فيتحدث كثير من الناس عن الأزمة الاقتصادية ، و بعضهم يتحدّث عن الأزمة القيادية ، و بعضهم يتحدّث عن الأزمات السياسية ، حتى نزل الناس إلى مستوى الحديث عن أزمة العمّال ، أزمة العَمَلَة ، أزمة البنّائين ، أزمة المشتغلين في المصانع ، و لكنها كلها أزمات جانبية ، طفيلية ، و أكثرها وهميّة كذلك ، إن الأزمة الحقيقية ، الأزمة العالمية الإنسانية ، يا سادتي و إخواني ! هي أزمة عدم وجود القدوة الصالحة على مستوى الشعوب و الأمـــــم . لا أتحدّث عن أزمة الأفراد ، الأفراد كانوا و لا يزالون في كلِّ عصر، و لكن الأفراد لا يستطيعون أن يغيِّروا التيّار، و أن يُحدِثوا انقلاباً ، الأزمة الحقيقية هي أزمة عدم وجود القدوة الصالحة ، المثال الحيّ ، المثال الصالح ، المثال الفاضل ، على مستوى الشعوب و الأمم ، فأصبحت الشعوب و الأمم قطعاناً من الغنم لا راعي لها ، قد كان العالم الإنساني في القرن السادس المسيحي ، عالماً

www.abulhasanalinadwi.org

جسداً بلا روح ، جسداً بلا قلب ، جسداً بلا ضمـــــير ، لا إنسانية ، و لا خلق ، و لا وازع ديني ، و لا كتاب سماوي في الحقيقة محفوظ ، و لا دين ، دين عادل ، كان الناس من غير قيادة ، و كان الناس يتخبّطون في الظلمات ، و لا بصيص من نور ، فأرسل الله نبيّه محمداً ﷺ في هذه الجزيرة العربية التي نلتقي فيها ، نلتقي في قطعة عزيزة حبيبة إلينا و إلى المسلمين جميعاً ، أرسل الله نبيّه محمداً ﷺ و بعثه بعثة نبي ، و لكن بعثته كانت أيها الإخوان ! بعثة مقرونة ، بعثة نبي مقرونة ببعثة أمة ، و هذا لا يتفطّنه كثير من المتأملين في القرآن ، و لا مؤاخذة ، إن الله سبحانه و تعالىٰ يصف هذه الأمة ، بصفات لا تنطبق إلاّ على مبعوث ، و على مأمور من الله، فيقول :

" كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ

www.abulhasanalinadwi.org

تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰه "[1]

إنني في دراسة مقارنة للديانات و الكتب السماوية لا أجد هذا الوصف الدقيق الشامل ، هذا الخطّ الفاصل ، هذا الحد الفاصل ، بين أمة و أمة ، أمة مأمورة ، أمة مبعوثة ، أمة قد قلّدت مسئولية ، ليست فوقها مسئولية إلاّ مسئولية النبوة فقط ، فكانت بعثة النبيّ محمد ﷺ بعثة مقرونة ، مشفوعة ، مرتبطة ببعثة أمة ، هذا هو الشيئ الذي أثّر في مصير الإنسانية ، و كانت تجربة جديدة في تاريخ الديانات ، و في تاريخ مصائر الأمم ، و في تاريخ الاتجاهات، لعلّ بعض السادة من أصحاب الاختصاص للدراسات القرآنية و السيرة النبوية ، يستغربون هذا التعبير ، و ربما يشعرون فيها بطرافة أو بتجن ، و لكنّي أستشهد بقول

---

[1] سورة آل عمران ١١٠

www.abulhasanalinadwi.org

رسول الله ﷺ حيث قال : « **إنما بعثتم ميسّرين و لم تُبعثوا معسّرين** » ، آثر كلمـــــــة " **البعث** " و خاطب بها الصحابة رضي الله عنهم ، و قد كان هذا الشعور بالمسئولية ، بمسئولية البعثة ، بمسئولية المأمورية ، هذا الشعور كان يملأ جوانح الصحابة رضي الله عنهم و التابعين لهم بإحسان . كان الواحد منهم و لو لم يبلغ مبلغاً عظيماً و لم يصل إلى درجة عالية من الثقافة ، كان يشعر بأنه مبعوث ، بأنه مبتعث ، بأنه مسئول أمام الله عن المصير الإنساني، عن الشعوب و الأمم.

سأل رستم سيِّدنا ربعي بن عامـــر [٢] رضي الله

---

٢ كان من الصحابة رضي الله عنهم ، قد شهد فتح دمشق ، ثم خرج إلى القادسية و شهد فتوح خراسان ، و ولاّه الأحنف على طخارستان لما فتح خراسان ، و كان من أشراف العرب . (تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، طبع دار السيرة بيروت) .

www.abulhasanalinadwi.org

عنه و قال له : ما الذي جاء بكم إلى هنا ؟ ما الذي أخرجكم من الجزيرة العربية ؟ فقال القولة المجلجلة ، المدوِّية ، المسجّلة في التاريخ ، التي لا أعرف لها نظيراً في الكلمات التي تقدّم بها السفراء و الرسل ، رسل الملوك ، رسل الحكومات ، و حملة المسئولية الكبيرة أمام قادة البلاد ، أمام من كان يملك زمام الأمة و البلاد ، فكأنه يقول ما جاء بنا شيئ ، ما جئنا لأنفسنا ، يسجِّل التاريخ الأمين، التاريخ العربي ، و العرب أمناء في التاريخ ، و أكثر أقسام التاريخ أمانة و دقّة هو التاريخ الذي سجّله العرب ، فيقول ، و حفظ التاريخ هذه الكلمات ، هذه النبرات ، كأنّي أسمع ، كأن أذني تسمعه الآن : « الله ابتعثنا ».

إخواني ! استحضروا هذه الثقة التي قد ملأت جوانح هذا الرجل الأعرابي البدوي ، كيف يرفع بدرجته و مدى ابتعاده عن كلِّ نوع من أنواع مركب النقص ، رستم ، قائد قواد الفرس ، جاء على سرير له أبهة ، له شوكة ، هذا الرجل الأعرابي الذي نزل من فرسه ، و

www.abulhasanalinadwi.org

صار يطأ الزرابي المبثوثة ، و يستهين بهذه الزخارف المصطنعة ، لما قال له رستم : ما الذي جاء بكم ؟ ، كان هنالك مائة جواب ، مائة رد ، جاء بنا الجوع ، هذا أقلُّ شيئ ، جاء بنا الشعور بالمهانة ، هذا فوقه ، جاء بنا الواقع الأليم الذي نعيشه ، جاء بنا الشعور بالاضطهاد و بالظلم ، و بالجور الذي أنتم فيه ، يقول بكلِّ طمأنينة و سكينة ، الإيمان ينطق على لسانه ، و يجيش و يفيض من صدره ، يقول : لا ، ما جاء بنا شيئ ، اللّه ابتعثنا ، هذه الثقة التي امتاز بها الرّعيل الأوّل من حملة رسالة الإسلام في القرن الأول ، في القرن السادس المسيحي ، لم يتوقع رستم أبداً ، صدِّقوني أيها الإخوان ! و أنا واثق كلّ الثقة بأن رستم ما كان يتوقع ، ما كان يستطيع أن يرى في الحلم ، أن يسمع هذه الكلمات في المنام ، بدوي لابس لباساً يحتقره ، من هم هؤلاء الفرس ؟ هؤلاء الفرس الذين كان الواحد منهم إذا لبس منطقة و قيمتها

www.abulhasanalinadwi.org

دون مائة ألف كانت العيون تزدريه ، كان الناس يحتقرونه ، و إذا لبس قلنسوة قيمتها أقل من مائة ألف درهم و دينار، كان الناس يحتقرونه ، ما كان الناس يسمحون له بالجلوس مع الكبراء ، مع السادة ، هذا البدوي الذي هو نصف عار ، الذي ربما ربط ثوبه بقتاد ، بشوكة ، يقول : الله ابتعثنا ، افهم أيها الرجل ! افهم يا قائد الجيوش ! افهم ما جاء بنا شيئ ، شيئ طريف يقع في تاريخ العالم ، لا عهد لك به و لا عهد للمؤرخين به ، و لا عهد للسياسيين به ، لأنه فوق القياس ، يقول : الله ابتعثنا ، لا تسألوا عن هذه الكلمة ، لها روعة ، لها صدىً في القلوب و في التاريخ ، الله ابتعثنا لنخرج ، قال: ما الذي جاء بكم ؟ ما الذي أخرجكم ؟ قال : لا، الله ابتعثنا لنخرج ، و هنالك يمتاز هذا البدوي الموحّد المؤمن بالله تعالى ، فيختار الكلمات بدقة لأنه ممثِّل دين ، ممثِّل عقيدة التوحيد ، ممثِّل الرسالة السماوية الأخيرة ، فربما تغرُّه نفسه و ربما يخامر، يجول في خاطره أنه صاحب

www.abulhasanalinadwi.org

الفضل ، و أنه هو الذي بعثته الحمية الدينية و بعثه الإيمان ، قال: لا ، الله ابتعثنا لنخرج من شاء ، هذا لا يقوله إلاّ مؤمن ، إلاّ موحّد ، لنخرج ، ما نستطيع أن نخرج ، و لو استطعنا أن نخرج لفعلنا ذلك قبل هذا بسنين ، و لكنه قدر الله ، أمر الله الذي جاء الآن عن طريق محمد عليه الصلاة و السلام ، فقال : الله ابتعثنا، كل كلمة بقيقة أدق من الكلمات القانونية التي يتعمّق فيها الحقوقيون و أصحاب الاختصاص في الحقوق ، كل كلمة كأنما أعِدّت و ادّخرت ، و فكر فيها ألف مرة ، لا و لكنه كل شيئ مرتجل ، الإيمان نطــق على لسانه ، يقول : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، كأنه يشير أنكم استعبدتم الناس ، و هنا في هذا المقام الملوكي ، في هذا البلاط ، في مجلس قائد القواد ، يظهر و كان الناس وقوفاً و هو جالس ، و قد أنكر سيِّدنا ربعي بن عامر رضي الله عنه ، قال : ما تعوّدنا نحن العرب أن يجلس أحد من الناس و يقوم

www.abulhasanalinadwi.org

الناس و يقف الناس ، ما تعوّدنا هذا ، فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، أنا دائماً كلّما تجددت هذه الكلمات في ذهني ، كلّما حضرتني ، كلّما فكرت فيها ، أحار فيها ، أقول في نفسي لو قال : " من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة " ، لم أستغرب، لأنهم كلهم كانوا يؤمنون بالآخرة ، و أنها أوسع ، و سارعوا إلى مغفرة من ربِّكم و جنة عرضها السمٰوات و الأرض ، و موضع سوط في الجنة خير من الدنيا و ما فيها ، كانوا يؤمنون بهذا، فلو قال : " من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة"، لما كان فيه غرابة ، و لكنه يقول : من ضيق الدنيا إلى سعتها ، أنتم تعيشون في القفص ، أنتم مثل الطيور الصالحة ، الطيور الجميلة ، التي تحبس في قفص من ذهب ، أسلاكه من ذهب ، و الصحاف التي تُقَدَّم إليها من ذهب ، و لكنها على كلٍّ حال أقفاص ، فإنما جئنا لأنّ الله أمرنا بأن نخرجكم من ضيق الدنيا التي توهّمتموه بقلة علمكم و ببعدكم عن الوحي و

www.abulhasanalinadwi.org

عن المعاني السامية ، و عن الأهداف النبيلة ، و عن المقام الإنساني الذي أكرمه الله به ، أنتم بغباوتكم ، أنتم ببعد أحدكم من الديانات ، و فهم الإنسانية على حقيقتها ، أنتم تتوهّمون ، تتخيّلون هذا الضيق سعة ، إنما جئنا لنخرجكم ، لنخلّصكم من هذا الضيق الذي تعيشون فيه مختنقين ، صدوركم ضيقة ، و قلوبكم ضيقة ، و عيونكم ضيقة ، و أنفاسكم محبوسة ، لا تشعرون بانطلاق ، لا تشعرون بحرية ، لا تشعرون بلذة روحية ، لا تشعرون بسمو سماوي ، بسمو إنساني ، بسمو روحاني ، إنما جئنا لنخلّصكم من هذا الضيق الذي ما زلتم تعيشون فيه منذ مآت من السنين ، إلى أين ؟ إلى سعة الدنيا ، كأنه كان يؤمن بأنه هو و أصحابه و زملاؤه الذين جاء وا معه يعيشون في سعة ، و ما هذه السعة يا إخواني ! ؟ هل كانوا يعيشون في رغد من العيش ؟ إنهم كانوا يعيشون في ضيق ، في ضيق مالي ، و في ضائق المواد الغذائية ، كانوا يعيشون في الخيام ، كانوا يعيشون في بيوت من وبر و من

www.abulhasanalinadwi.org

مدر ، و لكنه امتلأ قلبه بالإيمان الجديد فقال:

" الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، و من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام. " [٣]

فكانت بعثة هذه الأمة الفريدة في إيمانها ، الفريدة في ثقتها ، الفريدة في سيرتها و خلقها، الفريدة في رحمتها للإنسانية، الفريدة في بساطتها و جدِّيتها ، الفريدة في اتصالها بالأسرة الإنسانية ، و بتألها لواقع الإنسانية ، الذي كانت تعيشه الإنسانية في كلِّ بقعة من بقاع الأرض ،

---

٣ البداية و النهاية لابن كثير ، الجزء السابع ص ٤٩ ، طبـــــع دار أبي حيّان القاهرة .

www.abulhasanalinadwi.org

كانت تجربة جديدة ، و كانت هذه البعثة ، البعثة الجماعية، البعثة الشعبية، البعثة التي انسلك و انخرط في سلكها العرب كلُّهم ، فأصبحوا روّاداً ، أصبحوا حملة رسالة ، أصبحوا حملة مشعل ، قد أحدث هذا تحوُّلاً في التاريخ ، لأن واقع العالم الإنساني الذي كان يعيشه في القرن السادس و السابع المسيحي كان أوسع و كان أسمىٰ من أن يؤثِّر فيه الأفراد الصالحون .

إن القرآن يشهد باليهود الذين هم أبغض العناصر إلى القرآن ، و إلى منزِّل القرآن ، فيشهد بصلاح أفراد الدين ، بوجود أفراد صالحين ، فيقول : " **ليسوا سواءاً من أهل الكتاب ، أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون ، يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و**

www.abulhasanalinadwi.org

يسارعون في الخيرات ، و أولئك من الصالحين ،"

فالقرآن يشهد بأن اليهود لا يزال فيهم الأفراد الصالحون ، و لكن لا تأثير ، لا أثر لهم في المجتمع الإنساني ، و في مصير الإنسانية ، لأنهم أفراد ، فبعثة الأمة على هذا المستوى من الإيمان ، من العقيدة ، و من الأخلاق ، و من الصدق ، و من الصرامة ، و من الجدِّية ، و من الفروسية ، و من الإيثار على النفس ، و من التضحية ، كان مبدأ تحوُّل ، أعظم تحوُّل شهده التاريخ الإنساني .

هذا هو السرُّ يا إخواني ! الأزمة الحقيقية، في الحقيقة ، التي قد أثرت في مصيرة الإنسانية كلِّها ، و الفراغ الهائل ، و الفراغ الأعظم الوحيد هو عدم وجود أمة تتخذ مثالاً ، تتخذ قدوةً ، قدوةً للأمم ، الأمم لا تحسب للأفراد حساباً ، هذا معلوم ، الأمم ، الشعوب ، خصوصاً الشعوب

---

٤ سورة آل عمران : ١١٣ - ١١٤

www.abulhasanalinadwi.org

السائدة ، الشعوب التي تملك القيادة لا تحسب للأفراد ، لأفراد صالحين ، يوجدون في كلِّ أمة تقريباً ، و في الأمة العربية و في الأمة الإسلامية ، لا تحسب الشعوب لهؤلاء الأفراد حساباً ، إنما تنتظر الشعوبَ و تتطلّع إلى شعب مثالي ، إلى شعب قائد ، قائد الإنسانية ، شعب يتميّز ، يمتاز عن الشعوب الأخرى في مكانة العقيدة ، في قوة العقيدة ، و في روح الإيثار و التضحية ، و في البساطة ، و في التسامي على الشهوات و على الأنانيّات ، لا يستهويهم الشيئ الذي يستهوي هذه الشعوب ، رغم سيادتها و قيادتها و رغم تقدُّمها في الثقافات و في الفلسفات ، و في العلوم . إن الشعوب الأوربية بل العالم الإنساني المعاصر الآن ، صدِّقوني أيها الإخوان ! إنه لا يخضع أقل خضوع ، إنه لا يرفع رأسه لشعب لا يتميّز عن هذه الشعوب في شيئ إلاّ أن نصيبها أقل من نصيب هذه الشعوب ، و إنها تتحلّب أفواهها ، و تتقطع أنفاسها في الجري وراء هذه الشهوات ، وراء هذه اللذات التي

www.abulhasanalinadwi.org

يعبدها الأوربيون ، صدِّقوني أيها الإخوان ! لو ملك المسلمون ألف مرة ..لو ملك المسلمون أضعاف أضعاف ما خوّلهم الله تعالىٰ ، و ما أعطاهم ، و ما أكرمهم به من مال و ثراء ، و وسائل للعيش الرخيِّ ، الناعم ، و الحكومات الكبيرة الواسعة ، و التقدُّم في العلوم و الفنون ، لا يحسب هذا العالم المعاصر للمسلمين و للعرب أيّ حساب ، إنهم في ثقة ، في اعتزاز بنفوسهم ، و يعرفون أنهم قادة العالم ، قادة المدنية ، و أن الشعوب كلها متطفلة على مائدتها. إن أكبر كبير يزور عاصمة أوربية أو أمريكية ، و يبذل فيها القناطير المقنطرة ، و يبني فيها القصور الشامخة ، و يسبح في عالم من الخيال و يتقلب في عتاد النعيم ، و يعيد تاريخ ألف ليلة و ليلة ، لا يرفع الأوربي إليه رأسه باحترام و يحني رأسه أمامه إلاّ أن يرى رجلاً و لو كان فقيراً، يتسامى على هذه الشهوات التي يعبدها الأوربيون كالأصنام و أكثر من الأصنام ، يرى رجلاً لا تخضعه هذه البهرجة ، لا تخضعه هذه الزخرفة المصطنعة ، هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الفخفخة الصناعية ، هذه المدنية الباهرة ، لا تبهر عيونه ، بل هو يقف في خضمّها ، يقف في طريقها وقفة عملاق ، وقفة منارة نور في بحر من الظلمات ، يهزأ بهذه المدنية ، و يسخر منها ، و ينبذها نبذ النواة ، و يحتقرها ، و يعلن أنه صاحب الرسالة ، أنه منقذ للإنسانية ، إنه جيش إنقاذ ، إنه المطافي ، العالم كله في حريق و نحن المطافي ، العالم كله مريض و نحن جمعية الإسعاف ، نحن جماعة الإسعاف ، هذه الثقة هي التي تجعل الأوربي ، تجعل الهندوس ، و تجعل الياباني ، و تجعل الصيني يفكّر مائة مرة في صلاحية الإسلام ، و في قدرته على إنشاء مثل هذا الجيل .

أما هذه الأموال فهنالك مقارنات ، و هنالك حسابات ، هنالك رياضيات ، فيها من يملك الملايين و من لا يملك الملايين ، و من يملك أكثر من الملايين ، هذا كله لا يجعل أي إنسان في هذا العالم ينظر إلى من يملك هذه الأسباب ، أسباب المعيشة الرخية في إجلال و احترام .

www.abulhasanalinadwi.org

فالفراغ الذي ملأته الأمة العربية الإسلامية في القرن السابع المسيحي هو فراغ القيادة العالمية بجدارة، بقدرة باستحقاق ، و بعثة أمة بأسرها ، كل فرد من أفرادها يحمل المشعل ، يحمل النور ، يحمل الإيمان ، يشق الطريق في الظلمات ، أما قال عقبة بن النافع رضي الله عنه، قال : و الله لولا هذا البحر لواصلت سيري ، و بلّغت الإسلام إلى أقصى الحدود ، و هكذا كانت الثقة تملأ ، كان المسلمون يؤمنون بأنهم مبعوثون ، مبتعثون ، يعني إذا أخذنا بالاحتياط و الدقة نقول : " مبتعثون "، إذا كان النبي ﷺ مبعوثاً فهم مبتعثون ، و هم مأمورون ، و لكن كل واحد كان يعتقد أن عليه مسئولية ، و أن في يده أمانة ، أمانة ثمينة ، أمانة المصير الإنساني ، أمانة الحظّ الإنساني ، أمانة مستقبل المدنية الإنسانية ، هذا هو الشيئ الذي عيّن ، و حدّد المكان المعيّن المعلوم للأمة العربية الإسلامية ، و حدّدت دورها، دورها القيادي في معركة الشعوب و الأمم السياسية و الاقتصادية و غير ذلك . ففي الحقيقة نحن

www.abulhasanalinadwi.org

الآن في حاجة إلى أن نكون القدوة الصالحة على مستوى الشعوب و الأمم . كما يقول أبو العلاء المعري :

فيا مـــــوت زُر إن الحياة نميمة

و يا نفس جدّي، إن دهرك هازل

فالدهر هازل الآن . الناس يعيشون في مهزلة، هذه المهازل التي تقرأون أخبارها في الجرائد كل يوم ، تطلع عليكم الصحف و الجرائد بمهزلة و مأساة . مهازل و مآسي . إما مهازل و إما مآسي . إذا بحثتم عن شيئ لا يدخل في عداد المهازل . و لا يدخل في عداد المآسي تعبتم و ما وجدتم . بالنسبة إلى المسلمين إما مهازل و إما مآسي . و مع الأسف الشديد أن التقت المهزلة بالمأساة في بيروت ، في لبنان . و قد تلتقي المآسي بالمهازل . و المهازل بالمآسي . و ليس ذلك إلاّ لأننا أصبحنا هازلين . أصبحنا هزيلين . هزيلين و هازلين . أصبحنا غير جادّين . أصبحنا فاقدين للإيمان الصحيح و الثقة . الثقة التي يجب أن يحملها المسلم. فإن النجدة التي يحتاج إليها العالم المعاصر

www.abulhasanalinadwi.org

الإغاثة، الغوث ، الغوث الغوث ، يا إخواني العرب ! الغوث الغوث ، النجدة النجدة ، المدد المدد ، أيتها الأمة الإسلامية العربية ! إن أوربا أصبحت كلباً يلهث إن تضربه يلهث أو تتركه يلهث ، المدنية الأوربية أصبحت كلباً يلهث ، أصبحت المدنية الأوربية جملاً مجتّراً فقط ، المدنية الأوربية قد خلت جعبتها ، خلت جعبتها عن كلِّ جديد ، طريف مفيد ، إنما هو حيوان مجتّر ، جمل يجتّر ، إنما تعب فيه العلماء ، علماء أوربا في القرن التاسع عشر، في القرن الثامن عشر، التاسع عشر، هو الذي يستعين به الأوربيون، الآن لا جديد عندهم إلاّ الاستعباد ، و الاضطهاد ، و مهزلة و مأساة ، فقدوا كل جديد ، فقدوا الجدارة للجدة ، فقدوا الصلاحية للابتكار، إفلاس شائن ، إفلاس كان في الإيمان قديماً ، و في إغاثة الإنسانية ، و في النهوض بالإنسان و بالمدنية ، أصبحوا فيه مفلسين ، إفلاس تام ، الآن هناك فراغ واحد ، أنا لا أؤمن بفراغ آخر،

www.abulhasanalinadwi.org

لا أصدِّق أن هناك فراغاً آخر ، الفراغ الوحيد الذي هو في خارطة العالم المدنية و المصيرية ، هو فراغ وجود أمة تحمل رسالة ، و تحمل سيرة ، صاحبة بصيرة ، صاحبة خلق ، صاحبة إيمان ، صاحبة جد و صرامة ، صاحبة روح و نضال ، صاحبة فروسية ، صاحبة الإيثار و التضحية ، هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن في خارطة العالم الإنساني ، و لا يملأ هذا الفراغ إلاّ المسلم ، لا تملأ هذا الفراغ إلاّ الأمة العربية الإسلامية ، قد كانت رائدة للإنسانية في القرن السابع و فيما بعده من القرون ، و لا تزال رائدة الإنسانية في هذا العصر ، لو عرفت قيمتها ، و لو عرفت منابع قوتها ، و لو عرفت ضخامة رسالتها ، و لو عرفت عظم مسئوليتها، لكننا لاهون ساهون ، اسمحوا لي ، لا تؤاخذوني أيها الإخوان ! عفواً ، (و لو ولدت في الهند و نشأت في الهند، و كل ما تعلمته تعلمته في المؤسسات الهندية ، في ندوة العلماء ، و في جامعة لكناؤ ، و في ديوبند) و لكني أنا أحمل في عروقي - و أحمد الله على

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك – الدم العربي ، لنا سياقة نسبيّة من شخصي الحقير إلى سيِّدنا الحسن بن علي بن طالب رضي الله عنهما ، فأنا إن عاتبتكم فقد عاتبكم أخ لكم ، أخ لكم في الدين ، و أخ لكم في النسب ، و أخ لكم في الأدب ، و أخ لكم في اللغة ، و أخ لكم في المشاعر، فلا تعتبوا عليّ يا إخواني ! .

متى تقوم ، متى تنهض الأمة العربية الإسلامية ؟ و تحمل الرسالة من جديد ؟ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث الله محمداً ﷺ و نحن نعيش في جاهلية ، نعيش في جاهلية عالمية ، في جاهلية إنسانية أوربية ، أمريكية، روسية ، و لكنها جاهلية ، و النور الوحيد هو نور الإسلام ، و النور الذي لا يزال عند العرب عن طريق القرآن ، في صفحات القرآن، و في صفحات السيرة النبوية ، و إننا أبناء الهند ، أبناء القارة الهندية ، ننظر إلى هذه الجزيرة ، كأمة رائدة ، كحاملة لهذه الرسالة ، إننا مع الأسف الشديد قد قابلنا تجربة لا تليق بنا و لا تليق بكم ، إن كثيراً من إخواننا متطفلون على مائدتكم ، و

www.abulhasanalinadwi.org

كن التطفل الحقيقي على مائدة القرآن ، على مائدة لإيمان .

أنا أقول لإخواني في الهند ، و لإخواني لباكستانيين : إن ما نستفيده و نقتبسه من السادة لعرب ليس هو ما أفاض به هذا الذهب الأسود ، البترول لا ، بل هذا النور الذي سطع من المدينة ، من مدينة لرسول ﷺ هذه هي ثروة العرب ، فليكن لنا فيها نصيب ، و إنني أؤمل في أبنائي ، من أبنائي طلبة الجامعة ، شبال الأسود - كما قلت - أن يهيِّئوا نفوسهم ، يهيِّئوا نفوسهم لهذا المنصب الرفيع ، لمنصب القيادة ، ليكونوا مثلاً كاملاً ، و قدوة حسنة صالحة للمتمدنين الذين يتزعمون المدنية و التقدُّم و التقدُّمية ، ليكونوا مثلاً لهم.

مع الأسف لما زرت أمريكا ، لما زرت أوربا شكى لي كثير من كبار الأساتذة في الجامعات ، قالوا : ما وجدنا في أبنائنا العرب و المسلمين ما يميِّزهم عن غيرهم ، نا وجدناهم سواءاً ، فلنكن مثالاً في هذه الجزيرة ما دمنا

www.abulhasanalinadwi.org

هنا، و في أمريكا و أوربا إذا كنا هناك ، و في الهند ، و في القارة الهندية ، و في اليابان ، و في أقصى الشرق إذا كن هناك ، المسلم هو نور في الظلام و النور لا يختفي ، هذ الذي أردت أن أقول لكم كأمانة ، كأمانة ليست أمانا موجّهة ، ليست رسالة موجّهة من زملائي ، و من أقراني و من أبناء وطني ، بل رسالة موجّهة من الإنسانية ، و إنني الآن - و لو كنت رجلاً صغيراً - ممثِّل الإنسانية.

إن أنني المتواضعة الضعيفة تسمع خفقان القلوب تسمع هواجس النفوس ، تسمع خلجان الضمير الإنساني أنا قائل هنا ، و لكنني أسمع ما يجول في خواطر الأوربيين و الأمريكيين في أقصى العالم ، و يمكنكم أن تسمعوا كذلك إذا اتصلتم بهذا التيار، التيار الحيوي ، سمعتم خلجات النفوس و أنتم هنا، يا إخواني!.

إنني أنا أوجّه كلمتي إلى أبنائي الشباب : هيّئو نفوسكم ، اشحنوا بطاريتكم بالشحنة النبوية الإسلامية الإيمانية ، وطّنوا نفوسكم على الجدِّ و الصرامة ، و

www.abulhasanalinadwi.org

لبطولة و الفروسية ، و على التسامي على الشهوات و لأنانيات ، لا يستعبدكم المال ، و لا تستعبدكم المادة ، و لا تستعبدكم المناصب ، كونوا عبيداً لله تبارك و تعالىٰ حتى يسوغ لكم أن تقولوا : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام ، و العالم الإنساني مصغ بأذنه ليسمع هذه الكلمات ، هذه الكلمات الرنّانة ، هذه الكلمات الحنّانة ، هذه الكلمات التي قسمت التاريخ بين قسم و قسم ، و الإنسانية بين شقية و سعيدة، و الأمم بين متردية و ناجية .

و أكتفي بهذا ، و أشكركم مرة ثانية على إتاحة هذه الفرصة الغالية للاجتماع بكم و رؤيتكم هنا ، و رؤية أبنائي الشباب و الحديث إليهم في صراحة ، و في صدق و إخلاص .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org